إضاءة

في 1965، توجّهت المفكّرة الألمانية برسالة مقتضبة إلى الروائي رالف إليسون الذي انتقد تعاملها مع العنصرية في أميركا. تدلّ الرسالة على دخول آرندت مرحلة من المراجعة الذاتية حيث تقرّ بوجود مشاكل في البنية السياسية والاجتماعية الأميركية بعدما مجّدتها سابقاً

دارا عبد الله

تحقيقٌ في رسالة مُقتضبة

حنة آرندت والرجل اللامرئي

المُستلم

تُفهِم الرّسالة إذا ما حُدِّد موضوع النقاش. إذْ كُتِب هذا الاعتراف في 29 يوليو/ تمّوز من عام 1965. اللاجئة اليهودية الألمانية التي تمتص التبعُ بعمقٍ في مقابلتها التلفزيونية الشهيرة، كانت قد نشرت في سنوات سابقة مقالاً أثار وقتها كثيرًا من الجدل. عارضت آرندت مسألة الإلغاء القسريّ للفصل العنصري في المدارس في الولايات المتحدة الأميركية؛ فمُستلم الرسالة هو الروائي والكاتب الأميركي الأسود، صاحب اللغة العالية والإحساس الدقيق، من صار شفافًا بروحه، لكثرة ما صار «لا مرئيا» بلونه، رالف إليسون (1914 - 1994)، وصاحب إحدى أهمّ الروايات الأميركية في القرن العشرين، رواية «الرجل اللامرئيّ» Invisible Man، التي نشرها عام 1952، والذي أصاب روح آرندت بنقده الذي وجّهه لمقالتها، وذلك في مقابلته التي قرأتها. الرسالة مُقتضبة قليلة الحروف، إذ خطّتها قبل عطلتها الصيفية التي قضّتها في أوروبا قادمة من أميركا في 1 آب/ أغسطس من العام نفسه. ولكن؟ لمَ تعترفُ آرندت الآن بخطاها في مقالٍ هوجمت عليه مرارًا؟ لمَ تجب الآن مَنْ بقيت صامتة حول كل النقاش الذي سببه مقالها؟

ولِد مستلم الرسالة عام 1914 في مدينة أوكلاهوما الحدودية. كان جدّه عبدًا حرفيًا، وعند ولادته، لم يكن قد مضى وقتٌ طويل على انضمام أوكلاهوما إلى مجمل أميركا. للمُستلم نصّ ساحر حول رحلات صيد الطيور في الغابات مع أخيه في فترة الكساد الاقتصادي الكبير. درس الموسيقى واتبع ذلك بدراسة الأدب. في «الرجل اللامرئيّ» وصف كيف يكون العالم والحسّ من وجهة نظر أسود، حينما يصف مثلاً كيف شكّلت النظرة العامة تجاه السود منعكسات نفسية عميقة، صارت أشبه بـ«خصائص جوهرية» تشبه المنعكسات العصبية؛ ترك أثرًا كبيرًا على جيل من الأدباء الأميركيين، مثل ساول بيلو Saul Bellow وكورت فونيغوت Kurt Vonnegut.

من معرض واثقي حول آرندت في برلين، 2020 (Getty)

في رسالة الرسميّة، يظهرُ عدم وجود علاقة شخصية خاصّة بين المرسل والمستلم. اللقاء الموثق الوحيد هو حفل تكريمهما من قبل الأكاديمية الأميركية للعلوم والفنون، قبل عام من كتابة الرسالة، في 1 إبريل/ نيسان من عام 1964. الغريب هو أنّ الخطابين اللذين ألقاهما كلّ من آرندت وإليسون، اليهودية الهارية والأسود المنبوذ، اشتركا في نقطتين لمّاحتين: الأولى هي عدم الشعور بأي شكل من أشكال الانتماء، والثانية هي الدخول إلى عالم الكتابة عن طريق الصدفة! كتبتْ آرندت هذه الرسالة بعدما أصابها نقد إليسون في مقابلته، وبعدما قرأت «الرجل اللامرئيّ». في الرسالة إقرارٌ بوجود مشاكل في البنية السياسية والاجتماعية الأميركية البنية التي مدحتها آرندت في كثير من كتاباتها. والمديح الذي وصفه إليسون بأن يصدر من «نقدية فقدت إحساسها النقديّ».

جذر الخلاف

حتى نهاية الخمسينيات في أميركا، لم يكن قانون المساواة المدنيّة الكاملة لجميع المواطنين قد نفّذ بشكل كامل في كل الولايات. آنذاك، وفي العديد من الولايات الجنوبية، والتي يتحدر إليسون منها، كانت فرصُ غير البيض في المشاركة السياسية والارتقاء التعليمي شبه معدومة. منْع الزواج المختلط بين البيضِ والسود، المنع الذي تصفه آرندت بـ«ميراث زمن العبودية» كان ساريًا في بعض الولايات. في عام 1945 أصدرت وزارة العدل الأميركية قرارًا بوجوب رفع الحواجز العنصرية في التعليم. تفاعلاً مع القرار الجديد، قامت سلطات مدينة ليتل روك، وهي المدينة المذكورة في الرسالة، بالسماح لتسعة شبان سود بالدخول إلى الثانوية العامة. لكن، في يوم القبول، اجتمع عشرات الآلاف من المستّحين البيض برؤوسهم الحليقة وكلابهم المدربة على مهاجمة السود. وللمفارقة، الشرطة هي التي أنقذت حياة الشبان، وأعادتهم إلى بيوتهم سالمين. بعد بضعة أسابيع، أرسل الرئيس الأميركي أيزنهاور قوّات فيدرالية مهمّتها فرض حقّ الأطفال بالذهاب إلى المدارس. انتشرت بعدها صور الأطفال السود وهم يذهبون إلى المدارس وأشعلت العالم جدلاً.

> تشير الرسالة إلى تحوّلات في فهم آرندت لمعالجة العنصرية
>
> باتت ترى أن العصيان المدني حق يجب أن يحفظه الدستور

لقاح الأم

ولكن من نسخت جدوى محكمة أدولف أيخمان بابتكار مفهوم «تفاهة الشر»، اعترفت على قرار إلغاء الفصل العنصري في المدارس من وجهة نظرها. إذْ هاجمت آباء الأطفال السود لأنهم يعرّضون أطفالهم إلى «تضحية أكيدة»، إلى أذى قادم من عداء جماعي أبيض، رغم أنّ قرار إلغاء الفصل يتطابق مع جانب أساسي من فلسفتها. لما كانت آرندت طفلة يهودية تعيش في مدينة كونيغسبرغ في ألمانيا، تلقّت من والدتها بالفكرة التالية: عليها أنْ تتعامل بعقلانية وحرفية مع المشاعر والأحاسيس المعادية للسامية إذا صدرت من زميلاتها أو زملائها، ولكنّ عليها أن تترك المدرسة فورًا إذا صدرت أحكام أو آراء من المعلمين. فكرة الأمّ تحولت إلى رأي فلسفي شهير لديها، إذْ بنت آرندت تمييزها الصارم في فلسفتها السياسية بين المجالات الثلاثة: السياسي والخاص، والاجتماعي كوسيط بينهما، والذي توضّحه في كتابها Vita Activa. إذْ تعتقد بأنّ المساواة يجب أن تُكرّس في المجال السياسي، لأنّ انتظار نضوب مشاعر التمييز في نفوس البشر، هو مثل انتظار الانتهاء من عدّ قطرات المياه.

(كاتب سوري مقيم في برلين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

ذاكرة ورواية

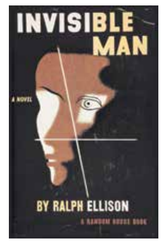

على الرغم من كونها وقفت ضد إلغاء فصل مدارس البيض عن السود (بناء على تجربة طفولتها كيهودية في ألمانيا بداية القرن العشرين)، فمن المجحف اعتبار حنة آرندت ذات نزعة عنصرية ضد السود، هي التي انشغلت في كل كتاباتها بمسائل المهمشين ودافعت عن المساواة السياسية. كما أنها كانت تبدي الكثير من المرونة إزاء المقولات المضادة لمواقفها كما الحال بعد قراءتها رواية «الرجل اللامرئي» (الصورة) لـ رالف اليسون.

رحيل

المعجمي الذي أنصت لكل تجلّيات اللسان

آلان راي قال كلمة الختام

تقاطعات كثيرة يمكن أن يلتقطها القارئ العربي مع ما تركه المعجمي الفرنسي الراحل منذ أيام، والذي لم يُخفِ تقديره للمعجميّين العرب القدامى

نجم الدين خلف الله

مؤخراً، ترجّل الآن راي (1928-2020) عن صهوة المعاجم، التي استقلّها فركبًا معرفيًا، طيلة حياته التي ناهزت الاثنتين وتسعين عامًا، منها سبعة عُقود كاملة جاب خلالها أقطار لغة مولياير ومنها سافر إلى روافدها النّابعة من الثقافة الكونيّة. الرّجل «غنيّ عن التعريف» في فرنسا، لأنّه أبو معاجمها ومرجع التّعريف في بيان الكلمات الفرنسيّة وجذورها وتطوّرات معانيها. اشتُهر بكُتُبه العابقة كما بأبحاثه التبسيطيّة التي كتبها جمعًا بين الصّرامة والجماليّة والوضوح، كما اشتُهر لدى المستمعين بصوته الهادئ الرخيم، الذي رافقهم على أمواج أثير إذاعة «فرانس-أنتر» طيلة خمسة عشر عامًا (من 1993 إلى 2006) يشرح لهم، بمعارفه الموسوعيّة، دلالات الكلمات وإيتيمولوجيتها، في برنامج صباحيّ، له منه فقرة: «كلمة الختام».

كانت بداية هذا المعجمي استجابةً عفويّة لإعلان صغير ظهر في جريدة «لوموند»، سنة 1950، كان قد أطلقه المعجمي والناشر بول روبار (1910-1980)، وهو يبحث فيه عن مترشّحين لإنجاز معجم جديد، تتفاعل فيه المفردات مع بعضها، عبر نظام التناص والإحالة، كما يستوعب الكلمات الجديدة التي طرأت على اللسان الفرنسي وكانَ وقتها في ذروة التوليد، غداة حرب عالميّة، الثّانية، فجّرت الصناعات وحوّلت وتائر المعيش اليومي. قبل ترشّحه، فكان ثالث ثلاثة شاركوا في تحرير «روبار الكبير»، الذي صدر بين سنتَي 1953 و1960 في ستة أجزاء. ثم تعاقبت الأعمال المعجميّة الأخرى مثل «روبار الصغير»، سنة 1976، وهو بمثابة تهذيب لسابقه وتلخيص. وما لبث أن اتبعهما بـ«روبار أسماء الأعلام» الذي جمع أهمّ الوجوه الثقافيّة والتاريخيّة والسياسية بفضل مجهود دؤوب.

وفي سنة 1979، أصدر راي «معجمَ العبارات الجاهزة والصّيغ المسكوكة»، وهو قريبٌ في ثقافتنا التراثية من «مجمع الأمثال» للميداني، وقد تتبّع فيه الصيغ الجاهزة وشرح سياقاتها وأبان عن استخداماتها وآثارها التداوليّة. وتمثل سنة 1992 منعطفًا خطيرًا في نتاجه الغزير، حيث صاغ «المعجم التاريخي للغة الفرنسية»، وهو عمل ضخمٌ، يُشبهه إلى حدٍ كبير، «مُعجم الدوحة التاريخي للغة العربية»، وفيه حلّل طبقات المعنى التي تراكمت طيلة عشرة قرون فالتصقت بالكلمات الفرنسيّة التي حلّلَ منها ستّين ألف نموذج، كاشفًا لأطوارها التاريخيّة والدلاليّة، كل كلمة سرديّة متقنة مُفصّلة. ومن اللافت أنّ هذه السيرة الحافلة قد خُتمت بمعجم يهمّ القارئ العربي، ونامل أن يُنقل سريعًا إلى الضاد، وهو كتاب «سفر الكلمات من المشرق العربي والفارسي نحو اللغة الفرنسية»، الصّادر سنة 2013، والذي استعرض فيه، بعلم غزير، كنوزَ الكلمات العربية التي أثرَتْ الرصيد اللغوي والذي مَكّن أجيال الفرنسيين، طيلة قرون، من تسمية أشياء العالم، عطفًا من الأرض إلى السماء ومن العلوم إلى العقائد، ومن مواد الطبيعة إلى أنسجة الملابس، في ساحات الوغى كما في مَراح السلام، قطاعاتٍ ضمّت كلماتٍ، بَرهن الآن راي أنها سافرت من الضاد، عبر إيطاليا وإسبانيا في العصر الوسيط، فاقترضها الفرنسيون ليسمّوا بها أشياء عالمهم وهي تفوق الآلاف كلمةً عدّا استعاد تاريخها المعجميُّ الفرنسي في أسلوب يكاد يَكون روائيًا.

وأما أطرف ما كتبه فهو «المعجم العاشق للشيطان» (2013)، والذي جمع فيه كلّ المداخل المتعلقة بهذا الرمز الذي تحفل بالشرّ المطلق في تاريخ البشر ومجتمعاتهم، فتابع ما صاغه عنه الشعراء والفلاسفة والرسّامون واللغويون وقسّمه إلى مداخل قاموسيّة، في عَمل يقرب من كتاب عباس محمود العقاد؛ «إبليس». وقبل هذا الكتاب وضع راي «المعجم العاشق للمعاجم» (2011)، ضمن سلسلة معروفة تُصدرها منشورات «بلون»، وهو عمل يتناول فيه عالم القواميس من زاوية ذاتية تضيء علاقة المعجمي بأدوات مجاله. ولنا أن نذكر أيضاً مشروعه في تخليص صناعة القواميس من تقليديّتها والذهاب بها إلى صرامة العلم وهو ما شرحه في كتابه «من صنعة المعاجم إلى علم للكلمة» (2008).

> يُحسب له تخلّصه من المركزية الثقافية والصفويّة الزائفة

هكذا، انطفأت أكثر من سبعة عقود في خدمة الكلمات الفرنسية وتأصيل تاريخها واستقصاء طبقاتها الدلالية وإيحاءاتها، قضاها هذا الرجل، في تواضع جَمّ ازدانت به مسيرته، مع انفتاح لافت على ثقافات الآخر ومتغيّرات التاريخ، بعيدًا عن الصّفويّة الزائفة، قريبًا من كل تجليات اللسان حتى «المنحرفة» منها، تلك التي طالما الصقت ظلمًا بشباب الضواحي من أبناء المهاجرين الذين هَمّشتهم الثقافة الرسميّة. قبلت كلمة الختام وصار راي نفسه علمًا فرنسياً، ربّما يضاف إلى قاموس «أعلامه» في قادم طبعاته.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

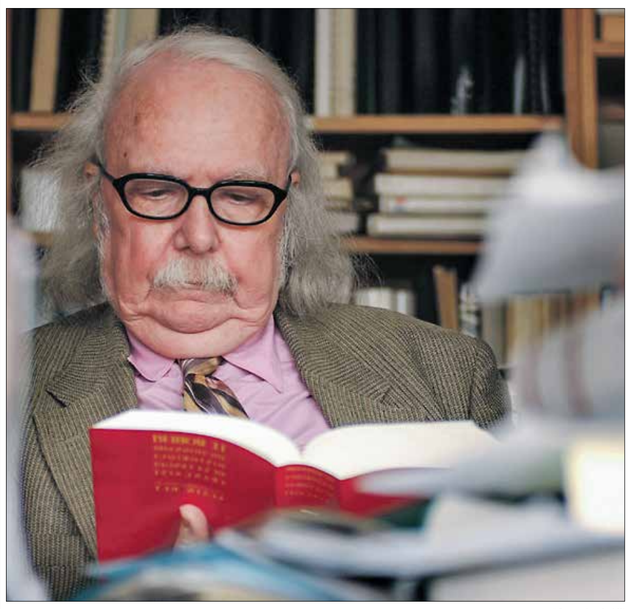

الآن راي في مكتبه، 2002 (Getty)

وقفة مع

محمد عبازة

تقف هذه الزاوية، مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

تونس ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

يشغلني ما شغلني منذ دخلتُ الجامعة مُدرّساً باحثاً. أنا مشغول بالمسرح وإبداعاته نقداً ومتابعة. حالياً، أنا منهمك في بحث يدور حول مسألة معقّدة حيّرت الفنانين وحدّت من حريّاتهم الإبداعية على مر العصور ألا وهي الرقابة بكل تفرعاتها وتمظهراتها الدينية والأخلاقية والسياسية. انصبّت الرقابة على المسرح بشكل خاص بحكم طبيعة هذا الفن وتميزه عن بقية الفنون الأخرى التي يمكن استهلاكها فردياً إلا المسرح الذي كان دوماً طقساً جماعياً، ونعرف أن الناس إذا تجمّعوا لسبب من الأسباب يسودهم عقل جماعي وتنتقل العدوى بينهم بشكل سهل. من هنا جاءت خشية رجال السياسة من المسرح لأنه فن مشاغب ولذلك شدّدت عليه الرقابة من جميع جوانبه.

■ ما هو آخر عمل صادر لك وما هو عملك القادم؟

آخر كتاب صدر لي كان حول مدينة غمراسن، مسقط رأسي في جنوب تونس، وهو عمل لا يكتفي بتاريخ المكان بل يمتدّ إلى البحث في تاريخ سُكّانه، إنها دراسة تاريخية اجتماعية وأنثربولوجية في آن. أما عملي القادم فهو كتاب تحت الطبع سيكون عنوانه «محاورات مع المسرح التونسي».

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

لستُ راضياً على ما أنجزتُ لأن الباحث إذا استكان إلى الرضا عن النفس فهو لن يتقدّم أكثر.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أطمح إلى رؤية تغيير في التفكير الإسلامي الذي طغى عليه العنف والدموية في العقود الأخيرة. نريد من ديننا أن يقبل الآخر بكل صفاته، وذلك مفتاح أن يقبلنا الآخرون كما نحن.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

إذا قدّر لي أن أعيد حياتي من جديد، فأعتقد بأنني سأتّخذ نفس المسار مع تغييرات طفيفة لا غير.

■ صديق يخطر ببالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

> الترابط بين الفنون مهم للغاية وأرى تجربة فيروز من أبرز تجلياته

وهو عمل لا يكتفي بتاريخ المكان بل يمتدّ إلى البحث في تاريخ سُكّانه، إنها دراسة تاريخية اجتماعية وأنثربولوجية في آن. أما عملي القادم فهو كتاب تحت الطبع سيكون عنوانه «محاورات مع المسرح التونسي».

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

لستُ راضياً على ما أنجزتُ لأن الباحث إذا استكان إلى الرضا عن النفس فهو لن يتقدّم أكثر.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أطمح إلى رؤية تغيير في التفكير الإسلامي الذي طغى عليه العنف والدموية في العقود الأخيرة. نريد من ديننا أن يقبل الآخر بكل صفاته، وذلك مفتاح أن يقبلنا الآخرون كما نحن.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

إذا قدّر لي أن أعيد حياتي من جديد، فأعتقد بأنني سأتّخذ نفس المسار مع تغييرات طفيفة لا غير.

■ صديق يخطر ببالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

> الترابط بين الفنون مهم للغاية وأرى في تجربة فيروز من أبرز تجلياته

الصديق الذي أرغب في أن التقيه هو شقيقي محمد صالح الذي وافاه الأجل المحتوم.

■ ماذا تقرأ الآن؟

أنا مشغول هذه الفترة بالقراءة والتوثيق حول موضوع الرقابة في الفنون.

■ ماذا تسمع الآن؟ وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

من حسن حظّي أنني أشرفت خلال مسيرتي المهنية على المعهد العالي للموسيقى وعلى المعهد العالي للمسرح. هذا الترابط بين الفنون مهم للغاية، وأرى من أبرز تجلياته تجربة فيروز. أقترح عليكم إحدى أغانيها عن الشام.

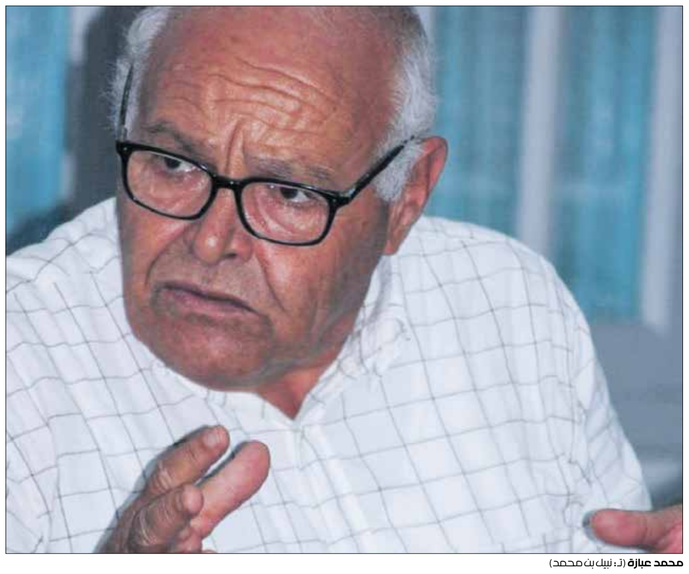

محمد عبازة (ـ: نبيل بن محمد)

بطاقة

ناقد ومؤرّخ تونسي متخصّص في المسرح، من مواليد 1949 في مدينة غمراسن بالجنوب التونسي. حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب، وشغل العديد من المناصب الأكاديمية في الجامعة التونسية، منها إدارته لـ المعهد العالي للفنون الدرامية والركحية»، وترأّس لجنة التأهيل الجامعي في العلوم الثقافية. من مؤلفاته: «مقاربات للمسرح التراثي»، و«غمراسن: جذور وأجنحة»، وله كتاب حول تاريخ المسرح في تونس بعنوان «تطوّر الفعل المسرحي بتونس» صدر عام 2009 في جزأين: «من النشأة إلى التأسيس»، و«من اللامركزية إلى التجريب».

فعاليات

تقام في «غاليري بهلر» بالقاهرة سلسلة من المعارض التي توثق وتتبّع تحوّلات الحركة السريالية المصرية، منها معرض يقام حالياً يشمل لوحات الجيل الثاني من الحركة، ومن بينهم: **سيد القماش**، و**محمد سعيد رياض**، و**حامد ندا**، و**منير كنعان**، و**عبد الرحيم شاهين**، و**إنجي افلاطون**، و**سمير رافع** (اللوحة).

تنطلق أيام **مهرجان النسوية البيئية** في مركز «إيكولوجي بافيلون» في لندن، عند السابعة والنصف من مساء غدٍ الخميس. يشمل المهرجان معرضاً حول حركة **إيكوفيمينزم** التي بدأت في السبعينيات لاستكشاف العلاقة بين الطبيعة والمرأة، ويضم أعمال 75 فنانة. ويصاحب المعرض برنامج مكثف من الفعاليات بما في ذلك عروض الموسيقى والرقص والنقاشات ومهرجان للأفلام القصيرة.

تقيم «مكتبة درب المعرفة للأطفال واليافعين» في عمّان، حالياً فعاليات «**مهرجان الفيلم العلمي**» بالتعاون مع فرع «معهد غوته» الألماني في العاصمة الأردنية. يتواصل المهرجان حتى نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، وضمنه سيتم عرض الأفلام بشكل يومي في مواقع التواصل الاجتماعي عند الرابعة عصراً.

على خشبة «مسرح المدينة» في بيروت، تعرض مسرحية **ما مرّ** عند الثامنة والنصف من مساء بعد غدٍ الجمعة. العمل من إخراج **شادي الهبر** و**مايا سبعلي** وأداء فريق «مسرح شغل بيت»، وتتناول مجموعة أشخاص يتذكرون واقعة حصلت قبل 30 عاماً وغيّرت حياة كلٍ منهم وكل واحد لديه رواية مختلفة حولها.